

هآرتس / لا تهاجروا إلى إسرائيل



17 سبتمبر 2018 - 07:59

بقلم: عميره هس

دهشت للحظة: مقال أسرة التحرير في يوم الجمعة الماضي "خطف" العنوان الذي خططته للمقال الحالي بتغيير بسيط، أيها اليساريون لا تهاجروا، قال العنوان. في حين أنني اكتفيت بـ "لا تهاجروا". قفزة سريعة إلى نهاية مقال أسرة التحرير هدأتني. زملائي كتبوا بصورة ساخرة، في حين أنني أطلب بجدية من اليساريين أن لا يهاجروا. واقول لهم لا تهاجروا إلى إسرائيل ولا تستغلوا المزايا الممنوحة لكم والتي تمكنكم من التجند خلال يوم، وبهذا تتضمنون إلى شعب الاسياد. حتى لو قمتم بالانضمام في اليوم التالي لهجرتكم إلى نشاطات ييسارية مكثفة، فانكم لن تستطيعوا أن توازنوا بواسطتها التعاون مع نظام السلب والطرده الذي يكتنف خطوتكم.

يوجد لدي تعاطف كبير مع الشباب اليهود الذين يعيشون في الشتات والذين يشاركون في نشاطات سياسية وجماعية ضد سياسة الاحتلال التي تتبعها اسرائيل ومظاهر الاجترهايد. الكثيرون منهم يزورون البلاد (اسرائيل وعدد من مناطق الضفة الغربية) من اجل أن يروا بأعينهم كيف تبدو الكولونيالية الاستيطانية وهي تعمل، وبعد ذلك يعودون إلى دولهم ويبلغون عن ذلك، ويحتجون ويواصلون نشاطاتهم. أنا احترم ايضا العلاقة التي بطورونها مع هويتهم اليهودية: الرغبة في التعرف على التاريخ الفريد لعائلاتهم وجالياتهم؛ تفاخرهم بالقيم العالمية، الانسانية، التي لا يجدون صعوبة في العثور عليها لدى كتاب يهود؛ والتعود على انتقاد القسوة وعلى طرح - ايضا بهذه الطريقة يمكن التعلم من التراث اليهودي والتاريخي؛ اهتمامهم بوجهونه للتيارات المخفية والظاهرة لأراء عنصرية تجاه اليهود في الدول التي يعيشون فيها.

على مر السنين التقيت مع عدد من هذه المجموعات في البلاد وفي الخارج. في احدى الدول اللقاءات كانت تقريبا سرية: الشباب، اعضاء في حركة شببية صهيونية، خافوا من أن لقاء علني سيدفعهم اكثر إلى هامش الجالية اليهودية. ليس لدي الادوات كي اقول اذا بالغوا أم لا، لكن خوفهم كان يكفي من اجل أن أفهم إلى أي درجة هم يعملون تحت ضغط بأن لا ينحرفوا عن الخط الرسمي، المؤيد للاحتلال. في دولة اخرى كان منظمو اللقاء بالغين، لكنه عقد في بيت خاص (بعد لقاء تمهيدي، فحصوا فيه اذا كان لدي قرون). اذا فهمت الامر بشكل صحيح، فان المنظمين قدروا بأن حدث علني معا كان سيكشفهم وربما ايضا يكشف المشاركين فيه على نقاشات مرهقة وزائدة مع اعضاء مؤسسات الجالية الرسمية.

الشباب اليهود الذين التقيت معهم في البلاد، عادوا بشكل عام من جولات في اماكن السيطرة العسكرية الاسرائيلية على الفلسطينيين. في اسبوع - اسبوعين تعلموا معرفة الوضع افضل بكثير من الكثير من الاسرائيليين في جيلهم، والذي يعرفونه من خدمتهم العسكرية ومن التقارير الناقصة في الاعلام الاسرائيلي. النشاطاء يزورون دائما البلدة

القديمة في الخليل - لأن الكلمات لا تكفي لوصف الرعب هناك - ويصابون بالصدمة. كل ما اعتقدوا أنهم يعرفونه عن اليهودية واليهود يتفجر هناك الى شظايا. الخليل تضم داخلها مثل قشرة الجوز، كل الصفات للمنكئين الساديين التي حصلنا عليها كحكام غرباء، وهذيانا الطرد التي يتم تطويرها في الاقبية، وليس فيها فقط.

دائما في كل لقاءاتي مع هؤلاء الشباب المتحمسين طلبت منهم عدم الهجرة الى اسرائيل. ولسعادتي، بشكل عام طمأنوني وقالوا إنهم لا ينوون ذلك. ولكن دائما يوجد من لا يصمدون أمام الاغراء، ويقتنعون بأنهم يستطيعون التأثير للافضل والاسهام في النضال. لهؤلاء أقول: أنتم مخطئون. من المياه التي تشربونها ومرورا بشاطئ البحر الذي تستجمون عليه، والكهرباء التي تضيء في مدرستكم، والمشاركة في حفلات البلوغ للأخ وابن العم في الخارج وحتى دعم الشقة التي ستحصلون عليها في القدس أو في رعنا: أنتم تختارون أن تكونوا متفوقين، وهذا اختيار غير اخلاقي بشكل واضح.

في مرات كثيرة قال لي فلسطينيون بغضب واستفزاز: اذا كنت يسارية تعارضون الاحتلال فلماذا لا تغادرين البلاد. احيانا ناقشتهم وحيانا لم يكن لدي مبرر، لكن خلافا لليهود اليساريين الذين لا يلزمهم شيء للهجرة الى اسرائيل، نحن ولدنا هنا. ليس لدينا خيار. ليست لدينا لغة وبلاد اخرى، حتى ليس في برلين. بالمناسبة، حتى الهجرة الى الخارج هي استغلال لمزايا كمن ننتمي لنوع عالمي من النخبة البيضاء: من السهل على الاسرائيليين - اليهود الهجرة الى اوروبا والولايات المتحدة والى دول كولونياية سابقة، والقبول فيها اكثر من الفلسطينيين الذين قطعت اسرائيل امامهم كل الالفاظ المادية والنفسية داخل وطنهم.

اسرائيل اجتازت الخطوط لاحتمالية الاصلاح من الداخل. اذا هاجرت اليها فانكم تساهمون في وهم التطبيع الذي تريد بثه نحو الداخل ونحو الخارج. مكانكم، أيها اليهود اليساريون، في جالياتكم في الخارج. هناك تستطيعون التأثير، وهناك عليكم التوضيح بأن اسرائيل هي دولة لن تتنازل عن المشروع الكولونيالي وأنها تتكل بالفلسطينيين (مواطنون ورعايا) وتعرض حياتهم للخطر. هناك تستطيعون الانذار بأن اسرائيل دولة خطيرة، وأن تجدوا من يصغون. اذا هاجرت الى اسرائيل فانكم ستطبعون الطرد والخطر.